القسم الرابع

الصحة النفسية

وامتداداً لدراسة النفس البشرية بتصور سلفي، وفي إطار المقارنة بين النظرية الجاهلية وهذا التصور؛ نواصل تفسير الصحه النفسية.
حيث يمثل هذا التفسير أساسا للعلاج النفسي.

ومما لا شك فيه أن إنشاء هذا التصور السلفي للنفس في الوقت الحاضر في زمن قريب لا يسمح بدراسة وافية للصحة النفسية.
لأننا لم نتجاوز إثبات هذا التصور الذي تسقط به النظرية الجاهلية الخبيثة في النفس.
و لذلك ستكون دراسة محدودة بحدود هذا التصور الناشىء و تحديداً من خلال الأمراض التي تمثل بصورة مباشرة خللاً في الطبيعة الإنسانية السوية التي تقوم الدراسة الإسلامية على أساسها.
لذا لزم من الابتداء تحديد مفهوم المرض النفسى

- المرض النفسي :

وهذا المفهوم لابد أن يتحدد على أساس ثابت في هذا التصور وهو : أن الإنسان السوي هو الأصل الذي يقوم عليه تفسير المرض، وأن ثبوت المرض النفسي لابد أن يقاس إلى الحالة الطبيعية للإنسان من الناحية النفسية.

بل إن التصور الإسلامي للنفس يؤكد أن الخلل النفسي هو ذاته سيكون دليلاً على التصور الطبيعي للإنسان.

وهذا المنطلق الذي ننطلق منه في تحديد المرض النفسي يعاكس تماماً تفسير المرض النفسي عند الجاهلية.
إذ إن المرض النفسي عند أصحاب هذا التصور هو الأصل في التحديد.

وإن علم النفس الذي يتصوروه في مجموعه هو إطار عام لمجموع الأمراض النفسية في الإنسان.

ولذلك كان هذا المنطلق هو الامتداد العلماني لطبيعة الدراسة النفسية التي بدأها إبليس عند خلق آدم..

حيث لم يلاحظ إبليس في البداية إلا ما تمناه في آدم وهو أنه أجوف فعلم أنه خلق لا يتمالك.
لذا سنعرض ـ فقط ـ لبعض الأمراض النفسية في إطار إثبات الأصل الذي نشأ فيه الخلل.

وبصفه عامه فان هذا الأصل هو التوازن وهو تفسير الصحه النفسية مما يلزم أن يكون الخلل في هذا التوازن هو تفسير المرض النفسى.

وكان القلق هو البدايه .

- القلق :

وهو أول الأمراض المطروحة وفقاً لقاعدة إثبات الأصل، لأن القلق في ذاته ظاهرة طبيعية (أصل)، ولا يكون مرضاً إلا إذا وجد دون مبرر مناسب من الواقع.

وهو أول الأمراض المطروحة أيضاً لأنه أول المؤثرات في النفس السوية باعتبار أن النفس السوية هي النفس المطمئنة.
لأن القلق ذهاب للطمأنينة النفسية التي تعتبر أول دلائل الصحة النفسية.

والقلق كظاهرة مرضية علته الأساسية ضعف الصبر، والصبر هو حبس النفس ، لذا كان القلق اضطراب وحركة نفسية غير منضبطة.. وبذلك تكون أعراض القلق هي نفسها أعراض الاضطراب النفسي، وهذه الأعراض.. ناشئة عن مغالبة الصبر وعندما تصاب النفس بالاضطراب فإن أول اصطدامها يكون بالعقل، لأن الصبر يكون بالعقل من خلال حكم النفس ، والاصطدام بين النفس المضطربة والعقل أمر ينشأ عنه عرض ثالث وهو ضيق الخلق، لأن العقل و النفس سيكونا في صدام ولا وجود لأحدهما بصورة صحيحة..والاستمرار على

ضيق الخلق مع اضطراب النفس والاصطدام بالعقل هو الذي ينشيء بغض الناس؛لأن العلاقة بين حسن الخلق وحب الناس علاقة مترابطة..

فيترتب على ذلك أن يبغض الناس الإنسان القلق لضيق خلقه معهم..

فإذا فقد الإنسان الصبر..واصطدم بالعقل..وضاق خلقه..وبغضه الناس..انعدم إحساسه بالدنيا والوجود...حيث غالباً ما يسلمه هذا الحال إلى الإدمان ..

- الإدمان :

ووفقا لقاعده اثبات الأصل و التوازن " في تفسير المرض " الخلل"

يكون الأصل هو ظاهرة القبض والبسط و دليلها قول الله عز و جل] و الله يقبض ويبسط و إليه ترجعون [فالنفس دائرة بين القبض و البسط و الإدمان هو إحداث الانبساط كحالة عارضة مصطنعة في النفس .

لأن التفسير النفسي للإدمان هو إحداث حالة الانبساط النفسي المصطنع (المرض)، وبناء على التوازن بين القبض والبسط (الأصل) كان لابد من إحداث نوع من القبض ليستمر التوازن بين القبض والبسط بعد إحداث البسط بالإدمان. فالمدمن يتدخل بإدمانه لإطالة حالة البسط النفسي وهو لا يدرى أنه لابد له من أن يعيش بعد هذا الانبساط حالة انقباض يُقهر عليها، وهي الحالة التي يكون عليها المدمن في حالة فقدان ماده الادمان لتكون حالة الإنقباض الناشئة عن الانبساط المصطنع (الإدمان) هي الخوف و الحزن و الإنطواء و ما يترتب على هذه العناصر من آثار نفسية و عصبية.

وبذلك يتبين لنا من خلال هذا المثال مفهوم التوازن الذي يقوم عليه الكيان الإنساني، ومعنى الخلل المؤثر في هذا التوازن.

- ضعف الذاكرة:

والذاكرة في الأساس ثقة من الإنسان في ذاكرته و بمقدار هذه الثقة تكون قوة الذاكرة و من هنا كان النهي عن أن يقول الإنسان نسيت و ذلك في قوله " بئس لأحدكم أن يقول نسيت كيت و كيت بل هو نُسى "[1] رواه مسلم و النسائى.

و في حديث ابن مسعود أدب في التعبير عن حصول ذلك فلا يقول نسيت فإن النسيان ليس من نفس العبد مما يعود بالثقة من الإنسان في ذاكرته فينفي عنها النسيان .

و قد يكون من أسباب النسيان الذنب يقع فيه العبد و هو قول الله عز و جل] و اذكر ربك إذا نسيت [لأن النسيان إنما يكون عن سبب قد يكون ذنباً – وهذا ما ذهب إليه الضحاك بن مزاحم – فأمر الله تعالى بذكره ليذهب الشيطان عن القلب كما يذهب عند الفرار بالإذان ، و الحسنة تذهب السيئة فإذا زال السبب للنسيان انزاح فحصل التذكر بذكر الله تعالى و الله أعلم.

---

(1) [متفق عليه] أخرجه البخاري في (فضائل القرآن / بـ نسيان القرآن وهل يقول نسيت آية كذا وكذا / ح 5039) ، ومسلم في (صلاة المسافرين وقصرها / بـ الأمر بتعاهد القرآن وكراهه قول نسيت آيه / ح 790) من حديث عَبْدِ اللَّهِ ابن مسعود قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : [بِئْسَ مَا لِأَحَدِهِمْ يَقُولُ نَسِيتُ آيَةَ كَيْتَ وَكَيْتَ بَلْ هُوَ نُسِّيَ] .

و قد نص القرآن على أثر الشيطان في إحداث النسيان ففي قصة يوسف] وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ [
و في قصة موسى مع فتاه التي وردت في سورة الكهف] قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَباً [و لعلنا نلاحظ خطورة أثر الشيطان في إحداث النسيان في الإنسان من خلال حادثة الحوت الذي اتخذ سبيله في البحر سربا ذلك لأن الحدث لا يمكن لأحد أن ينساه فالحوت في مكتل مجهز للطعام وفجأة تدب فيه الحياة فيقفز من المكتل و يدخل في البحر بقوة شديدة هي التي جعلت القرآن يقول] فاتخذ سبيله في البحر سربا [لأن حركة الحوت القوية جعلته يشق الماء فينكسر على جانبيه فيحدث شكل السرب فأنساه الشيطان كل تلك الأعاجيب و لعل قوة التأثير تتمثل في أمر آخر و هو أن الشيطان جعل صاحب موسى ينسى و هو يرفقه موسى للقاء الخضر.وكان ذلك في سفرهما الذي لقيا فيه نصبا.
و بضعف الثقة في الذاكرة يكون النسيان حتى يبلغ هذا الضعف مداه لتكون الوسوسة.

- الوسوسة :

والوسوسة راجعة إلى ارتباط اليقين في الإنسان بمدى الجهد الذي بذله في الأمر الذي إنشاءً واستمراراً.

فالجهد ينشأ عن اليقين في الابتداء..لكن الجهد ذاته يحقق زيادة في اليقين وتبعاً للعلاقة بين اليقين والجهد التي تمثل (الأصل والتوازن) في الطبيعة الإنسانية . ليكون الخلل في هذا التوازن هو الوسوسه..لأن الوسوسة تكون في الأمر بمقدار سهولته..ولهذا نجد أن الوسواس غالباً ما يكون في لحظة البداية في العبادة مثل الصلاة لأن حركة رفع اليدين والتكبير أمر سهل، ويمكن تداركه، وهو في نفس الأمر تقوم عليه صحة الصلاة، فيكون من السهل الإعادة لتدارك الأمر- لأنه شرط للصلاة -فتكون الوسوسة.

و وفقاً لقاعدة الأهمية التي تنشأ عنها الوسوسة كانت العبادة هي أخطر مجالات الوسوسة.

فتجد الوسواس غالباً في الصلاة..والعلة الأساسية في الوسواس هي الحرص الزائد عن الحد..مثل الحرص على الطهارة في وسواس الوضوء.. وفي التكبير عند الدخول في الصلاة وعندما يزيد الحرص عن حده يفقد الفرد ثقته في ذاكرته وذهنه، فتصبح الزيادة في الحرص على السلوك سبباً في الاصابه بالوسوسة بعد النقص في ثقته و اللازمة.. لمنع الوسوسة.

ومن هنا كان عناصر علاج الوسواس في العباده هي نفسها عناصر الثقة في الذاكرة.. لان كثرة النسيان هي بداية الوسواس، وعندما يتكرر النسيان يأخذ حكم الوسواس..وكثرة النسيان أو بداية الوسواس.. حكمها عدم الانتباه إليها..فإذا كانت الوسوسة في التسمية قبل الوضوء يكون الحكم أن المتوضئ قال : بسم الله فعلاً وهذه أول درجات الثقة..

وإذا كانت الوسوسة في نزول نقاط من البول بعد الوضوء، فان تكرارها يأخذ حكم سلس البول الذي لا يؤثر على الوضوء. وفي هذا النوع فإن الوسواس ينشأ عن علاقة عصبية بين التفكير والتبول، ولذلك يكون العلاج هو قطع التفكير في الموضوع وهذا الحكم هو المحقق لهذا القطع ولذلك كان علاج الوسوسه فقها قائما على هاتين الحقيقتين و هي قولهم اله عنه أى انشغل ذهنيا عنه حتى تنقطع الصله العصبيه بين التفكير و التبول..وكذلك قول الفقهاء برش موضع البول بالماء حتى يظن الإنسان أن هذا الماء ليس ببول ولكنه الماء المرشوش فتكون الثقه المانعه من الوسواس .

و وفقاً لقاعدة الأهمية التي تنشأ عنها الوسوسة ننتقل بموضوع الوسوسة إلي أخطر المجالات الانسانية وهو الشك في الزوجة باعتبار أهمية العرض عند الإنسان ...

- الشك في الزوجة :

وهو أبرز أشكال الوساوس ، وهو مرض مستقل بذاته، و قد يبلغ بصاحبه درجة من درجات الجنون بل أخطرها.

وغالباً ما ينشأ هذا المرض في البيئة التي توارثت قيمة العرض اجتماعياً دون الالتزام الشرعي في العلاقات الاجتماعية. فلا ينشأ المرض في البيئة التي يحكمها الشرع مثل البيئة الإسلامية. ولذلك تجد أن العلاقة الزوجية في البيئة الاجتماعية الإسلامية تقوم ومعها أسباب حمايتها من هذا المرض. فهي قائمة على الثقة والاطمئنان إلى الزوجة. كما إنها قائمة على إحساس المرأة بمسؤليتها الأصلية في حماية نفسها، وذلك في

إطار الحدود الشرعية المنزلة وحسب الطاقة البشرية في مسؤلية الزوج عن عفاف زوجته.

ومنه النهي عن مفاجئه النساء بالليل ...

وسنه إبلاغ النساء بقدوم الرجال بعد الغزو ..

وعلى الرغم من الأخذ بكل أسباب الحماية للزوجة تبقى في نفس الزوج رغبة في المزيد من الإحساس بالأمان على زوجته وعرضه. ولكن هذا الإحساس لا يمكن أن يكتمل عند الزوج إلا من خلال استقرار عدة حقائق في ضميره، وأهمها أن العفاف قدر إلهي يتحقق في الزوجة بعلم الله لها وعدله فيها. والدليل في قصة هجرة سيدنا إبراهيم وزوجته سارة إلى مصر[1]، فقد كان ملك مصر يأخذ كل امرأة جميلة غصباً فإن كان معها أخوها تركه، وإن كان معها زوجها قتله، فعلم هذا الملك بقدوم إبراهيم وسارة كما علم بجمالها، فطلبها، فكان موقف إبراهيم أن قال لها : أخبريه أني أخوكي، وهذا بالطبع فيه نجاة للخليل إبراهيم.

ولكن أين التفكير في نجاة الزوجة ؟ هذا ما تركه إبراهيم للزوجة نفسها، فوقفت أمام هذا الملك

---

(1) [متفق عليه] أخرجه البخاري في (أحاديث الأنبياء / بـ قول الله تعالى واتخذ الله إبراهيم خليلاً / ح 3358) ، ومسلم في (الفضائل / بـ من فضائل إبراهيم الخليل / ح 2371) من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : [لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَام قَطُّ إِلَّا ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ ثِنْتَيْنِ فِي ذَاتِ اللَّهِ قَوْلُهُ إِنِّي سَقِيمٌ وَقَوْلُهُ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا وَوَاحِدَةٌ فِي شَأْنِ سَارَةَ فَإِنَّهُ قَدِمَ أَرْضَ جَبَّارٍ وَمَعَهُ سَارَةُ وَكَانَتْ أَحْسَنَ النَّاسِ فَقَالَ لَهَا إِنَّ هَذَا الْجَبَّارَ إِنْ يَعْلَمْ أَنَّكِ امْرَأَتِي يَغْلِبْنِي عَلَيْكِ فَإِنْ سَأَلَكِ فَأَخْبِرِيهِ أَنَّكِ أُخْتِي فَإِنَّكِ أُخْتِي فِي الْإِسْلَامِ فَإِنِّي لَا أَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ مُسْلِمًا غَيْرِي وَغَيْرَكِ فَلَمَّا دَخَلَ أَرْضَهُ رَآهَا بَعْضُ أَهْلِ الْجَبَّارِ أَتَاهُ فَقَالَ لَهُ لَقَدْ قَدِمَ أَرْضَكَ امْرَأَةٌ لَا يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تَكُونَ إِلَّا لَكَ فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا فَأُتِيَ بِهَا فَقَامَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَام إِلَى الصَّلَاةِ فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَيْهِ لَمْ يَتَمَالَكْ أَنْ بَسَطَ يَدَهُ إِلَيْهَا فَقُبِضَتْ يَدُهُ قَبْضَةً شَدِيدَةً فَقَالَ لَهَا ادْعِي اللَّهَ أَنْ يُطْلِقَ يَدِي وَلَا أَضُرُّكِ فَفَعَلَتْ فَعَادَ فَقُبِضَتْ أَشَدَّ مِنْ الْقَبْضَةِ الْأُولَى فَقَالَ لَهَا مِثْلَ ذَلِكَ فَفَعَلَتْ فَعَادَ فَقُبِضَتْ أَشَدَّ مِنْ الْقَبْضَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ فَقَالَ ادْعِي اللَّهَ أَنْ يُطْلِقَ يَدِي فَلَكِ اللَّهَ أَنْ لَا أَضُرَّكِ فَفَعَلَتْ وَأُطْلِقَتْ يَدُهُ وَدَعَا الَّذِي جَاءَ بِهَا فَقَالَ لَهُ إِنَّكَ إِنَّمَا أَتَيْتَنِي بِشَيْطَانٍ وَلَمْ تَأْتِنِي بِإِنْسَانٍ فَأَخْرِجْهَا مِنْ أَرْضِي وَأَعْطِهَا هَاجَرَ قَالَ فَأَقْبَلَتْ تَمْشِي فَلَمَّا رَآهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَام انْصَرَفَ فَقَالَ لَهَا مَهْيَمْ قَالَتْ خَيْرًا كَفَّ اللَّهُ يَدَ الْفَاجِرِ وَأَخْدَمَ خَادِمًا] . قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : فَتِلْكَ أُمُّكُمْ يَا بَنِي مَاءِ السَّمَاءِ .

الماجن تدعو الله : " اللهم إن كنت تعلم أني قد أحصنت فرجي إلا على زوجي فابعد عني هذا الشيطان ". فخسف الله به الأرض واستجاب لها، ويتكرر فعل الملك بعد أن دعت بنجاته حتى لا يقولوا قتلته. ويتكرر مرة ثالثة، ولكن الله ينجيها في كل مرة حتى يقول الملك : اذهبوا بها عني واعطوها هاجر.

ومن الدعاء والاستجابة يتبين كيف أن العفاف قد تحقق لزوجة إبراهيم بأسباب من عندها وهي إحصان فرجها إلا على زوجها. فكتب الله لها النجاة والعفاف وتأكدت بذلك مسؤلية المرأة الحقيقية عن نفسها.

كما إن عبودية المرأة وخشيتها لله هي الحماية الأصلية لها من الانحراف، فإذا أحست الزوجة قبل أن تكون زوجة لرجل؛ أنها أمة لله، وانحرافها قبل أن يكون خيانة للزوج فهو كبيرة عند الله، " والله أغير منا "[1]؛ كما قال رسول الله " وما أحد أغير من الله، من أجل ذلك أنزل الحدود "[2]. وقيمة هذه النصوص أنها تشعر المرأة بغيرة الله عليها فيمنعها ذلك من الخطأ.

ومن مثل مرض الشك في الزوجة الذي ينشأ عن الانشغال بالعرض و الذي يكون له أثر في إحداث التوهم الذي يبلغ درجة الهوس و هو ما يفسره مرض الهوس السمعى و البصرى.

---

(1) [متفق عليه] أخرجه البخاري في (الحدود / بـ من رأى مه امرأته رجلاً فقتله / ح 6846) ، ومسلم في (اللعان / بـ باب / ح 1499) من حديث الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ قَالَ : قَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ لَوْ رَأَيْتُ رَجُلًا مَعَ امْرَأَتِي لَضَرَبْتُهُ بِالسَّيْفِ غَيْرُ مُصْفِحٍ عَنْهُ فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : [أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ فَوَاللَّهِ لَأَنَا أَغْيَرُ مِنْهُ وَاللَّهُ أَغْيَرُ مِنِّي مِنْ أَجْلِ غَيْرَةِ اللَّهِ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا شَخْصَ أَغْيَرُ مِنْ اللَّهِ وَلَا شَخْصَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْعُذْرُ مِنْ اللَّهِ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ بَعَثَ اللَّهُ الْمُرْسَلِينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَلَا شَخْصَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْمِدْحَةُ مِنْ اللَّهِ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ وَعَدَ اللَّهُ الْجَنَّةَ] .

(2) [صحيح] وقد تقدم تخريجة

- الهوس السمعى والبصري :

وهذه الظاهره المرضيه .

من أبرز أمثلة حدوث الخلل من خلال التوازن؛ فالعلاقة بين أبعاد الكيان الإنساني الروحية والجسدية والنفسية والقلبية والسلوكية تقوم بالكيان الإنساني في وحده متناسقة واحدة.

وعوامل التأثير في أي بعد من هذه الأبعاد له نفس التأثير على الكيان الإنساني كله وأهم عوامل التأثير في العقل : عامل الانشغال، لأن الانشغال إنما يكون بالعقل ، و أول علامات الصواب في موضوع الانشغال هو هذه العلاقة القائمة بين الموضوع المطروح على العقل والعقل ذاته ، ولذلك يكون الرفض العقلي ابتداءً للموضوع دليل بطلانه عند صاحب هذا العقل ، فإذا انشغل العقل بالموضوع بصوره خاطئه فان هذا الانشغال (المرضي) يستمر.حتى يبلغ العقل درجة القناعة بالموضوع ويعتبرها من خلال هذه العلاقة المصطنعة حقيقة ، فيرسل العقل إشارته إلى القلب بقبول هذا الموضوع، فيقبله القلب كحقيقة ثم يرده القلب إلى الحواس بصفه حقيقة فتتعامل الحواس بهذه الصفة.
عندئذ يبلغ الموضوع الوهمي.. درجة الحقيقة عند الحواس فيسمع صاحبها أصواتاً أو يرى صوراً ولكن ليس في الواقع بل في الوهم ، و هذا هو تفسير ظاهرة الهوس السمعي والبصري.
ويكون ذلك قاعدة أن الخلل من خلال التوازن فيكون الهوس الناشىء عن الأثر الطبيعي للتكرار ويثبت على العقل والقلب.
مثال أن ينشغل إنسان بموضوع الأطباق الطائرة.

فيتوقع أي حركة في السماء. طبقاً طائراً.
ويقوى الانشغال وهو أقوى مؤثر طبيعي في العقل.. و يفرض الموضوع على العقل. ويزداد الانشغال حتى يتعامل العقل مع هذا الوهم على أنه حقيقة.
ثم يرسل العقل الموضوع إلى القلب.. بعد تعامله معه على أنه حقيقة.
ثم يرسل القلب الموضوع إلى الحواس.
فيرى هذا الرجل أطباقاً طائرة بعينه ويسمعها بأذنه.
وكما كان الانشغال سبباً في التوهم الذي يصل إلى مرحلة الهوس فإن هناك حالة مقابله لمرض الهوس ، وهي احلام اليقظه ، ففي حاله الهوس لا يتحكم الانسان في التوهم الناشىء عن الانشغال فيسمع أو يرى بلا اراده أو سيطره أما في حاله (احلام اليقظه) يتحكم ففيها الانسان في انشاء الصوره المتوهمه لينشغل بتلك الصوره نفسيا و ذهنيا ....

أحلام اليقظة :

و هي التمني الكاذب..الذي لا يعني سوى ترك العمل وعدم بلوغ حد الاستطاعة فيه، وترك الأخذ بالأسباب والسنن.

والواقع هو الذي يقف بالأمل على عتبة التحقيق لأن الانفلات من الواقع والأسباب والقدرة والاستطاعة يغرق الإنسان في خيال ليس له حدود.

والفرق بين التمني الكاذب و الرجاء الصادق متعلق بما يرجى وجوده فالتمني الكاذب هو الأمنية التي لا يرجى حصولها كما يتمنى العاجز المراتب العالية.

والأمانى الباطلة: هي رؤوس أموال المفاليس بها يقطعون أوقاتهم و يلتذون بها كالتذاذ من زال عقله بالمسكر أو بالخيالات الباطلة (أحلام اليقظة) و لا يرضى بالأمانى عن الحقائق إلا ذوو النفوس الدنيئة الساقطة.
إن الخطر الناشئ عن أحلام اليقظة هو استهلاك الطاقة الذهنية و الرصيد العقلى في تخيل الواقع الذي يرفضه، في صورة ترضيهو لذلك فإن هذا التخيل يستهلك في الانسان طاقة ذهنية هائلة تضعف عقله كما أن خطر أحلام اليقظة ينشأ عن أن المريض يعيش تخيله و أحلامه بصورة عصبية تستهلك هي الأخرى قدرته العصبية بكثرة مجاراة أعصابه لأحلامه.
وخطورة أحلام اليقظة كذلك تنشأ من طغيان إحساسه بخياله عند فقد قدرته العقلية و العصبية على إحساسه الذي يعيشه فعلاًلينفصل عن واقعه كلية فيكون الجنون.

الجنون :

وجميع الأمراض السابقة من الممكن أن تؤدى بالإنسان إلى حاله الجنون و ذلك عندما يفقد المريض إدراكه لنفسه و للواقع الذي يعيشه و لذلك كان استبصار المريض بنفسه و إدراكه لحقيقته يمنع إطلاق وصف الجنون عليه فكان هذا الاستبصار و الإدراك حدا فاصلا بين من بلغ درجه الجنون ومن لم يبلغها ..
والجنون هو الاختفاء و الغياب و الستر , وهو مرض مقصود به اختفاء و غياب و ستر العقل . ومنه جن الشيء يجنه جنا: ستره .
ومنه قول الله (فلما جن عليه الليل رأي كوكبا) أي أظلم حتى يستره بظلمته
ومنه سمي الجن لاستتارهم عن الأبصار ومنه

سمي الجنين لاستتاره في بطن أمه .
والإعجاب بالنفس هو محور الآثار و النصوص المعالجة لظاهره الجنون .
يقول الحسن : لو أصاب الإنسان في كل شيء جن , أي : لا عجب بنفسه إعجابا يجن به . ومن هنا كان الإعجاب بالنفس سبباً خطير للجنون
والحديث :(اللهم إني أعوذ بك من جنون العمل) أي : من الإعجاب به .
و رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم قوما مجتمعين على رجل فقال : ما هذا ؟ قالوا : مجنون .
قال : هذا مصاب . إنما المجنون من يضرب بمنكبية و ينظر في عطفه ويتمطى في مشيته)
ومن الظواهر الأساسية الدالة على الجنون : الحركة النشطة غير المنضبطة ..
قول رسول الله صلى الله عليه وسلم :(الشباب شعبة من شعب الجنون) .
و دليل ذلك النشاط هو قول العرب : جنى الشاب وصفاً لحركة الشباب خفته
و دليل عدم الانضباط أن تكون الحركة في أي اتجاه ..
ومنه قول العرب : جنت الأرض إذا ذهب عشبها كل مذهب .
ووفقاً للقاعدة العامة في التصور الإسلامي للصحة النفسية و هي أن المرض يثبت الأصل الذي تكونت عليه الطبيعة الإنسانية .
حيث ينطبق على أعراض الجنون نفس القاعدة التي تنطبق على جميع الأمراض النفسية
ولذلك كانت أعراض الجنون مرتبطة بالسبب الأساسي الذي كان سببا للجنون فعندما ما يكون سبب الجنون هو عقده الشعور بالذنب فان أعراض

المرض تتمثل في رغبته الجامحة في الاغتسال بالماء حتى انك لا تستطيع أبعاد المريض عن الماء .
ويدخل في تحديد أعراض الجنون بجانب سبب المرض .. شخصيه المريض أصلا فلو كان المريض رجلا ملتزما بالصلاة فان أعراض الجنون ستمنعه من أداء هذه الصلاة ...
والأصل في ذلك هو العلاقة بين الماء وإسقاط الذنوب كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .
فيحاول تخفيف الإحساس بالعجز عن أداءها فتكون الحيلة التي يخفف بها هذا الإحساس هو أنه إذا سمع المؤذن طلب أي طعام ليأكله . ليكون صاحب عذر في عدم قيامه إلى الصلاة لعلمه بحديث النهي عن الصلاة في حضره الطعام ..
فيتبين من ذلك الارتباط الوثيق بين شخصيه المريض قبل المرض وبين أعراض المرض عندما يحدث .
و أن علامات الجنون هي عدم القدرة على التعامل مع الآخرين و عدم القدرة على الإنتاج
ولكننا نعتبر في الابتداء أن العلامة الأساسية لهذا المرض هي عدم القدرة على الصلاة إذا كان الشخص مداوما على الصلاة قبل الإصابة .. لان الصلاة تبقى أعمق سلوك , ولا يمكن التخلي عنه إلا في حال الغياب التام للشخص عن نفسه .
والحقيقة أن الجنون في الأساس مرض شيطاني من حيث الأسباب ومن حيث طبيعة المرض ومن حيث النتائج ..
ومن أجل ذلك كانت الرقية من الجنون هي نفسها الاستعاذة بالله من الشيطان كما قال صلى الله عليه وسلم
ولذلك كانت الصلاة أيضاً هي أقرب سلوك يمكن أن

يستجيب المريض من خلاله إذا حاول أحد توجيهه أو معالجته .
ومع الاستعاذة بالله من الشيطان فان أسباب الحماية من الجنون تتمثل بصوره أساسيه. في عده أمور أهمها
ـ التسليم بقدر الله لان الإيمان بالقدر هو الذي يحقق الرضى بالواقع
ـ وكذلك حماية العقل من خيالات أحلام اليقظة لأنها تستهلك رصيد الطاقة الذهنية في الإنسان
ـ وفي هذا الإطار يكون تفكير الإنسان في الحاضر ولا يكون في الماضي إلا للعبرة ولا يكون في المستقبل إلا بالتوكل و الاستعداد..
وفي هذا جاء قول الله (لكي لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم)
والحضور العقلي الذي يحمى الإنسان من غياب العقل يكون بالذكر لان الذكر هو النصوص الشرعية المناسبة لكل أحوال الإنسان و أوقاته فيحفظه الله من الغفلة عن الله و الغفلة عن واقعة و أحواله و أوقاته .
وذكر الأمثلة السابقة للأمراض النفسية ليس دراسة لها بقدر ما هي إثبات (للمنطلق) الذي تكون منه الدراسة الوافية ...
و التعامل مع الإنسان بطبيعته المتوازنة السوية ... التي تحفظ له صحته النفسية ...
وهو ما يقابل المنطلق المرضي للدراسات غير الإسلامية
ودراسة الصحة النفسية لا تتوقف عند موضوع الأمراض ولكنها تمتد إلى جميع الأحوال التي تؤثر في الإنسان تأثيرا مشابها لتأثير هذه الأمراض .
وهي ما يمكن أن نسميه الأحوال الخاصة .
وباعتبار أن الدراسة النفسية مرتبطة بالدعوة فان

الاستمرار فيها سيكون من خلال الأحوال المتعلقة بالدعوة ..

الأحوال الخاصة

1- الاستضعاف:

مصطلح اسلامي يعني حياه الانسان المسلم في واقع غير اسلامي .

وهذا المصطلح ينطبق على كل أفراد الجماعه المسلمه إذا كانت تعيش واقعا غير اسلامي حتى لو كان من افرادها من يملك قوة شخصيه لان حكم الاستضعاف ينطبق عليه بمقتضلى انتماءه لتلك الجماعه المستضعفة .

ـ مثلما كان عمر بن الخطاب يتحدى قريش في هجرتة ، فيصعد جبل من جبال مكه و يقول (انى ذاهب الى محمد فمن أراد ان تثقله أمه أو تتأرمل زوجته أو يتيم ابنائه فليتبعنى) ومع ذلك كان مستضعفا باعتبار انتماءه للجماعة المستضعفة .

ـ و الاستضعاف له تفسير نفسي فهو ضعفا في الاحساس بالذات لان الاحساس بالذات ينبع من الانتماء للأمه فعندما تكون الامة مستضعفة ينعكس ذلك على

الاحساس بالذات .

كذلك فالاستضعاف تناقض بين التصور الذي يعيش فية عقل المستضعف وقلبه وبين المجتمع الذي يعيش فية بمنهجه وتقاليدة .

ولذلك كان للاستضعاف ردود افعال نفسية محددة وآهمها ان تتجمع في الجماعة التي ينتمي اليها المستضعفون بكل مشاعرهم الاجتماعية حتى درجة الاصطباغ النفسي و الشخصي بصبغة الجماعة ، وكذلك تجتمع في تلك الجماعة كل مشاعر الولاء في شخص القائم على هذه الجماعة فينشىء ذلك مبالغة في تقدير هذا الشخص وامكانياتة و كذلك السمع و الطاعة المطلقة له .

ولكن استمرار فترة الاستضعاف لا تنفي مشاعر الرغبة في ان يعيش المستضعف حياتة الاجتماعية بصورة طبيعية فنتجمع نحو محاوله الغاء التناقض الذي يعيشة فتنشأ في عقلة أفكار الحلول الوسط التي تكون من وطئة هذا التناقض وقد تقوى تلك الرغبه في ازالة هذا التناقض الي درجة التخلي عن قضية الجماعة فتنشأ في نفسة منهجية الاستسلام للأمر الواقع ويساعده علي ذلك الشعور بأنه قد أدي ما عليه .

وخطورة هذه المحاوله هي ان صاحبها يحاول فرضها على كل آفراد الجماعه لانه يحاول الغاء التناقض الذي يعاني منه ، وأي رفض لمحاولته من أي فرد سيبقي معني التناقض .

ولذلك يجب أن تكون فترة الاستضعاف متميزة بالايمان المطلق بقضيه الجماعه والقدره المطلقه على تحمل صعوبه هذه المرحله ، ولكن الايمان كمعالجه لضعف الاحساس بالذات له صيغ متهجية محددة وأولها العبادة التي تحقق للمتعبد احساسه

الكامل بذاته من خلال عبوديته لله و الوقوف بين يديه .

وخصوصا صلاة الليل التي يتحقق من خلالها التميز المطمئن للنفس لانه يكون في وقت لا يقف فيه أحد بين يدى الله الا مثل هؤلاء الناس .

والتصور الاسلامي الصحيح هو الذي يرسخ العقيده في القلب ويثبتها وهو الذي يحدد منهج التعامل بين أفراد الجماعة من ناحية وبين الجماعة و المجتمع الذي تحيا فيه من ناحية أخري .

ولذلك يلزم أن تكون مرحله الاستضعاف متميزة منهجيا بالتأصيل السلفي الذي يحقق الثقه في شرعية المنهج كما ينشيء الطاقة اللازمة لمواجهة طبيعة المرحلة، أي محاولة فردية لمعالجة التناقض بالاستسلام لابد أن تأخذ صيغة منهجية فكان لابد أن يكون هناك التأصيل القادر على مواجهة هذه المنهجية الاستسلامية ولعل الخروج عن المنهج السلفي وعقيده أهل السنة والانحراف نحو الارجاء و الفكر الصوفي كانت أخطر الصياغات المنهجية التاريخية الاستسلامية

وقد تكون محاولة الغاء التناقض محاولة غير منهجية لا يدعوا فيها صاحب المحاولة غيره اليها و لكن منهجيتها تكون قائمة علي التخلي السري عن قضية الجماعة و التحول الي القناعة بقضية المجتمع المعادي وينشأ عن هذا الموقف ظاهرة العمالة التي ترُيح العميل من معاناه التناقض بلا حاجة الي معاناة اقناع الجماعة بمحاولتة .
هذا من حيث الإحساس بالتناقض بين الفرد المسلم المستضعف و المجتمع الجاهلي
وبصفة أساسية فإن مشكلة الجماعة المستضعفة في المجتمع الجاهلي مرتبطة في منهج الدعوة

بثلاث قضايا :
أولا : قضية وجود المسلم في المجتمع الجاهلي , و الأصل في هذه القضية هو النتيجة الفعلية لهذا الوجود وليس الوجود ذاته ، فإذا غلب علي هذا الوجود معني الإقرار للجاهلية كان خطأ .
وإذا غلب علي هذا الوجود معني الإنكار علي الجاهلية كان صوابا .
وتنتفي صفة الإقرار عن وجود المسلم للجاهلية بالاستضعاف .
وتثبت صفة الإنكار بالانتماء إلي الجماعة المسلمة وإعطائها الولاء .. وهذا من حيث الموقف كما تثبت له صفة الإنكار بممارسة الدعوة وما تقتضيه من إنكار لأي منكر وبراءة من كل باطل ... هذا من حيث السلوك ،
وثبوت الإنكار علي الجاهلية بالانتماء للجماعة وممارسة الدعوة هو الأصل في الإنكار ، أما الاعتزال فهو تصرف اضطراري يثُبت الإنكار بعد اليأس من الاستجابة للدعوة .
إذ لو كان الاعتزال هو الأصل في معني الإنكار لتقرر علي المسلم بمجرد دخوله الإسلام ، فيلغي هنا الاعتزال واجب الدعوة وهذا خطأ خطير .
والتحديد العملي لضرورة الاعتزال يؤكد أن الاعتزال أصلا إنما يكون للمنكر وليس للناس في ذاتهم ، إذ أن الناس هم موضع الدعوة ، بدليل قول الله عز وجل : (أَنْ إذا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللّهِ يُكَفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلاَ تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ) (سورة النساء الآية : 140)

والأمر بالاعتزال كما هو واضح من الآية معلق بحال الاستهزاء بالآيات ، وبمجرد انتهاء حال الاستهزاء يكون القعود للدعوة .

وتأتي كل آيات الاعتزال لتثبت أن الاعتزال إنما يكون باعتبار ما عليه الناس من منكر وليس للناس أصلا .
(وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ .....) (سورة مريم الآية : 48)
(وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ .....) (سورة الكهف الآية 16) .
ويظل اعتزال الناس معلق بحال المنكر الفعلي إلي أن يثبت علي هؤلاء الناس استحالة مفارقتهم للمنكر فتصبح حياتهم بصفة دائمة مثل حال وقوعهم في المنكر الذي يجب اعتزالهم فيها ، فيتقرر الاعتزال بصفة دائمة .و حينئذ يكون صواباً وفي الإحساس بالتناقض بين المسلم والمجتمع الجاهلي الذي يعيش فيه و قواعد التعامل معه يقول الأستاذ سيد قطب لقد كان الرجل حين يدخل في الإسلام يخلع على عتبته كل ماضيه في الجاهلية. كان يشعر في اللحظة التي يجيئ فيها إلى الإسلام أنه يبدأ عمراً جديداً، منفصلاً كل الانفصال عن حياته التي عاشها في الجاهلية، وكان يقف كل ما عهده في جاهليته موقف المستريب الشاك الحذر المتخوف، الذي يحس أن كل هذا رجس لا يصلح للإسلام ! وبهذا الإحساس كان يتلقى هدى الإسلام الجديد. فإذا غلبته نفسه مرة. وإذا اجتذبته عادته مرة، وإذا ضعف عن تكاليف الإسلام مرة.. شعر في الحال بالإثم والخطيئة، وأدرك في قرارة نفسه أنه في حاجة إلى التطهير مما وقع فيه، وعاد يحاول من جديد أن يكون على وفق الهدي القرآني، كانت هناك عزلة شعورية كاملة بين ماضي المسلم في جاهليته وحاضره في إسلامه، تنشأ عنها عزلة كاملة في صلاته بالمجتمع الجاهلي من حوله وروابطه الاجتماعية، فهو قد انفصل نهائياً من بيئته الجاهلية واتصل نهائياً

ببيئته الإسلامية، حتى ولو كان يأخذ من بعض المشركين ويعطي في عالم التجارة والتعامل اليومي، فالعزلة الشعورية شيء والتعامل اليومي شيء آخر.

وكان هناك انخلاع من البيئة الجاهلية، وعرفها وتصورها وعاداتها وروابطها، ينشأ عن الانخلاع من عقيدة الشرك إلى عقيدة التوحيد، ومن تصور الجاهلية إلى تصور الإسلام عن الحياة والوجود، وينشأ من الانضمام إلى التجمع الإسلامي الجديد، بقيادته الجديدة، ومنح هذا المجتمع وهذه القيادة كل ولائه وكل طاعته بل تبعيته، وكان هذا مفرق الطريق، وكان بدء السير في الطريق الجديد، السير الطليق مع التخفف من كل ضغط للتقاليد التي يتواضع عليها المجتمع الجاهلي، ومن كل التصورات والمبادئ السائدة فيه. ولم يكن هناك إلا ما يلقاه المسلم من أذى وفتنة، هو في ذات نفسه قد عزم وانتهي ولم يعد لضغط التصور الجاهلي، ولا لتقاليد المجتمع الجاهلي عليه من سبيل.

نحن اليوم في جاهلية كالجاهلية التي عاصرها الإسلام أو أظلم، كل ما حولنا جاهلية ... تصورات الناس وعقائدهم، عاداتهم وتقاليدهم، موارد ثقافتهم، فنونهم وآدابهم، شرائعهم وقوانينهم، حتى الكثير مما نحسبه ثقافة إسلامية. ومراجع إسلامية. وفلسفة إسلامية، وتفكيراً إسلامياً. هو كذلك من صنع هذه الجاهلية !!.

لذلك لا تستقيم قيم الإسلام في نفوسنا، ولا يتضح في عقولنا، ولا ينشأ فينا جيل ضخم من الناس من ذلك الطراز الذي أنشأه الإسلام أول مرة.

فلابد إذن – في منهج الحركة الإسلامية – أن تتجرد في فترة الحضانة والتكوين من كل مؤثرات

الجاهلية التي نعيش فيها ونستمد منها، لابد أن نرجع ابتداء إلى النبع الخالص الذي استمد منه أولئك الرجال. النبع المضمون أنه لم يختلط ولم تشبه شائبة. نرجع إليه نستمد منه تصورنا لحقيقة الوجود كله ولحقيقة الوجود الإنساني ولكافة الارتباطات بين هذين الوجودين وبين الوجود الكامل الحق، وجود الله سبحانه ... ومن ثم نستمد تصوراتنا للحياة، وقيمنا وأخلاقنا، ومناهجنا للحكم والسياسة والاقتصاد وكل مقومات الحياة.

ولا بد أن نرجع إليه – حين نرجع – بشعور التلقي للتنفيذ والعمل لا بشعور الدراسة والمتاع. نرجع إليه لنعرف مإذا يطلب منا أن نكون. لنكون. وفي الطريق سنلتقي بالجمال الفني في القرآن وبالقصص وبمشاهد القيامة في القرآن.. وبالمنطق الوجداني في القرآن.. وبسائر ما يطلبه أصحاب الدراسة والمتاع، ولكننا سنلتقي بهذا كله دون أن يكون هو هدفنا الأول.

إن هدفنا الأول أن نعرف : مإذا يريد منا القرآن أن نعمل ؟ ما هو التصور الكلي الذي يريد منا أن نتصور ؟ كيف يريد القرآن أن يكون شعورنا بالله ؟ كيف يريد أن تكون أخلاقنا وأوضاعنا ونظامنا الواقعي في الحياة ؟ ثم لابد لنا من التخلص من ضغط المجتمع الجاهلي ولا أن ندين بالولاء له، فهو بهذه الصفة.. صفة الجاهلية.. غير قابل لأن نصطلح معه.

إن مهمتنا أن نغير من أنفسنا أولاً لنغير هذا المجتمع أخيراً، إن مهمتنا الأولى هي تغيير واقع هذا المجتمع، مهمتنا هي تغيير هذا الواقع الجاهلي من أساسه، هذا الواقع الذي يصطدم اصطدأما أساسياً بالمنهج الإسلامي. وبالتصور الإسلامي والذي يحرمنا بالقهر

والضغط أن نعيش كما يريد لنا المنهج الإلهي أن نعيش. إن أولى الخطوات إلى طريقنا هي أن نستعلي على هذا المجتمع الجاهلي وقيمه وتصوراته، وألا نعدل في قيمنا وتصوراتنا قليلاً أو كثيراً لنلتقي معه في منتصف الطريق، كلا ! إننا وإياه على مفرق الطريق وحين نسايره خطوة واحدة فإننا نفقد المنهج كله ونفقد الطريق !.

وسنلقى في هذا عنتاً ومشقة، وستفرض علينا تضحيات باهظة، ولكننا لسنا مخيرين إذا نحن شئنا أن نسلك طريق الجيل الأول الذي أقر الله به منهجه الإلهي، ونصره على منهج الجاهلية، وإنه لمن الخير أن ندرك دائماً طبيعة منهجنا، وطبيعة موقفنا، وطبيعة الطريق الذي لابد أن نسلكه للخروج من الجاهلية كما خرج ذلك الجيل المميز الفريد.

معالم في الطريق .... الأستاذ سيد قطب.

- التعذيب والسجون
  - التعذيب :

وفي مهنة التعذيب فإن بلوغ حد الاستطاعة في الصبر والتحمل والثبات لا يكون إلا بمعرفة إمكانية المواجهة الصحيحه لهذه المحنه .

وأهم عناصر هذه الامكانية هو دخول المحنة بالعزم المسبق على مقاومة الانهيار حيث إن دخول

مرحلة التعذيب يجعل الفرد في حالة شبه لا إرادية، والعزم المسبق هو الذي يحقق المقاومة.

وهذه الحالة أقرب ما تكون شبهاً بحالة النوم، فإذا أراد إنسان أن ينام وهو عازم على فعل شيء فإن هذا العزم يكون مؤثراً في حال نومه، فيجعله منشغلاً بالموضوع الذي عقد العزم عليه.

وكذلك ألامر في التعذيب حيث ينشيء العزم المسبق نوعاً من إلارادة ومقاومة إلانهيار.

ومع العزم المسبق على مقاومة إلانهيار...

ودائماً ترتبط مرحلة الاستضعاف بالسجون و التعذيب حتى أصبح هذا الأمر أخطر أسباب التأثير النفسي في أصحاب الدعوة ولذا كان من الضروري دراسة هذا الأمر .

فقد تراود إلانسان نفسه بالاستسلام . وحدوث هذه المراودة لا يعني فقدان هذا إلانسان ثقته في نفسه، بل عليه أن يؤجل قراره الداخلي بالكلام أطول فترة ممكنة.

وحتى إذا وصل الفرد الممتحن إلى ابتداء مرحلة إلانهيار.

فإن المقاومة الدائمة ستكون أكبر إمكانيات المواجهة.

وأهم العوامل المساعدة على المقاومة : المتابعة الذهنية عند الفرد لمراحل التعذيب، والغرض المحدد لكل مرحلة

أن يبدأ تعذيب الفرد برؤيته لتعذيب إلاخرين – كما فعل الملك مع الغلام في قصة أصحاب الأخدود حيث قتل الملك الراهب و الجليس قبل أن يحاول قتل الغلام حتى يراهما يقتلان فتتأثر نفسه بذلك .

و يكون الغرض من هذه المرحلة تحطيم العزم المسبق بعدم الكلام.. وجعل الفرد يدخل محنة التعذيب بلا عزم على الصبر والتحمل والثبات. وذلك من خلال استغلال الخوف الذي يسبق الدخول في التعذيب وهذا الخوف أشد من آثار التعذيب ذاته.

وإدراك مثل هذه إلاغراض هو الذي يمكن الفرد من تفادي إلاثر المطلوب منها.

* كما إن وصول الفرد الممتحن إلى مرحلة الانهيار لا يعني هدم كل خطوط الدفاع النفسية.

* حيث إن هناك خطاً قوياً يجب الانتباه إليه، وهو خط العلاقة النفسية بين الفرد الواقع تحت التعذيب والإفراد الذين سينالهم الأذى بانهياره، فكلما كان الحب قوياً وشديداً كانت إرادة الصبر والتحمل قوية وشديدة أيضاً.

* وأساليب التعذيب لا تتجاوز في مجموعها غرض سلب الإرادة. ولعل أخطر هذه الأساليب المحققة لهذا الغرض هو الإهانة النفسية.. لإفقاد الفرد كرامته. لأن العلاقة بين الكرامة والإرادة علاقة مطردة.

فإذا قويت كرامة الفرد وعزيمته قويت إرادته. ومن هنا فإن الشعور بالاستعلاء والعزة. من أهم موانع الانهيار وفقد الإرادة، فلا يؤثر السب والبصق والركل بالقدم على الاستعلاء والعزة، بل واليقين بأنك تمتلئ عزة واستعلاء بالقدر الذي يمتلئ فيه من يعذبك حقارة ومهانة.

* والفزع والترويع هما أخطر آثار التعذيب، ولا يبطل هذا الخطر إلا الطمأنينة والسكينة. ولا يحقق الطمأنينة والسكينة إلا الذكر؛] الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ إلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ [. (الرعد : 28).

*** وعلى هذا يكون الذكر هو الواجب الأول والدائم على من يقع في محنة التعذيب، كما إن الصيغ المتعددة للذكر تعالج بصورة مباشرة الآثار المتعددة للتعذيب.**
*** فدعاء الدخول على ذوي السلطان الظالمين يكون عند لحظة المواجهة الأولى، والاستغفار يرفع الذنوب التي قد تكون سبباً في وقوع المحنة، وعندما ترفع الذنوب تذهب أسباب المحنة وتتحقق العافية. ومع الاستغفار يكون دعاء تفريج الكرب.**
وكذلك التكبير الذي يحقق الشعور بإكبار الله فيهون التعذيب والقائمون عليه..
وكذلك يهون التعذيب والقائمون عليه أيضاً برضى الله سبحانه.
وهذا المعنى مأخوذ من دعاء النبي في الطائف، وفي نهايته : " إن لم يكن بك سخط على فلا أبالي، ولكن عافيتك أوسع لى "[1].
**ولعل أهم صيغ إلاذكار المناسبة لمحنة التعذيب هي إلاستعاذة الواردة في قول النبي **

---

(1) [ضعيف] أخرجه ابن إسحاق (1 / 260 – 262) ذكره بدون إسناد ، وكذلك ابن جرير في " تفسيره " من طريق ابن إسحاق ، ورواه الطبراني في " الكبير " من حديث عبد الله بن جعفر مختصراً وفيه الدعاء المذكور بنحوه قال الهيثمي في " المجمع " (6 / 35) : " وفيه ابن إسحاق وهو مدلس ثقة ، وبقية رجاله ثقات " اهـ فالحديث ضعيف ، وضعفه الشيخ الألباني في (تخريج فقه السيرة للغزالي / صـ 98) .

" ... [illegible] "(2)

لأن إلانهيار هو الذي يجر السوء على النفس وعلى المسلمين. وفي النهاية فإن ما يذهب بمحنة التعذيب وكأنها لا تكون هو تذكر عذاب الله وعدم المقارنة بين فتنه الناس وعذاب الله كما في قوله سبحانه :
] وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإذا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ [(العنكبوت : 10).
حيث لا وجه للمقارنة.

فعذاب الله يلازمه سخط الله والمهانة الحقيقية، كما إنه يتضاعف، ولا ينفع معه الصبر، وليست له نهاية، وليست منه نجاة. وفتنة الناس وإلايذاء في الله يحقق رضى الله والعزة لمن يؤذى في سبيل الله. كما إن فتنة الناس تضعف وينفع معها الصبر، ولها نهاية ومنها النجاة بإذن الله.

وبعد معالجة مشكلة التعذيب تتقرر حقيقة هامة وهي أن التوكل على الله هو الشعور الذي يدخل به المسلم نتيجة تلك المحنة، وأن التسليم بقدر الله هو الشعور الذي يتقبل به نتيجة تلك المحنة حيث

---

(2) [صحيح] أخرجه الترمذي في (الدعوات / بـ منه / ح 3529) ، والدارمي في " سننه " (الاستئذان / بـ ما يقول إذا أصبح / ح 2789) من حديث أَبِي رَاشِدٍ الْحُبْرَانِيِّ قَالَ : أَتَيْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ فَقُلْتُ لَهُ : حَدِّثْنَا مِمَّا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَلْقَى إِلَيَّ صَحِيفَةً فَقَالَ : هَذَا مَا كَتَبَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا إِنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلِّمْنِي مَا أَقُولُ إِذَا أَصْبَحْتُ وَإِذَا أَمْسَيْتُ فَقَالَ : [يَا أَبَا بَكْرٍ قُلْ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكَهُ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي وَمِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ وَشِرْكِهِ وَأَنْ أَقْتَرِفَ عَلَى نَفْسِي سُوءًا أَوْ أَجُرَّهُ إِلَى مُسْلِمٍ] قَالَ الترمذي : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ ، وصححه الشيخ الألباني في (صحيح الترمذي / 3 / 172 / ح 2798) .

إن محنة التعذيب مع ما ذكر من عناصر لمعالجتها هي في النهاية بيد الله وحده.

* السجون :

الواقع أن السجن فكرة شيطانية . .

لأن الشيطان لا يريد أن يموت المسلم على إسلامه فقد يتحمل الإنسان مراحل التعذيب و لكن تأتى مرحلة السجن أشد عليه من مرحلة التعذيب لأن السجن معناه هو فقد المعنى الخاص بالحياة و فقد الخصوصية المعيشية هذا بصفة عامة ...

ولذلك نجد تصرفات القائمين على السجن هادفه إلى أن لا يعتاد السجين حياته في السجن و أن لا يألفها فمن أجل ذلك تكون التنقلات الكثيرة حتى تحرم المسجون من الإستقرار و السكينة.

ثم يكون اختيار العناصر غير المتجانسة في العادات و التقاليد و الإفكار و الإهداف في تجمعات واحدة (زنزانة أو عنبر) حتى لا يحدث التآلف و الوفاق.

إن فترة السجن شبيهة بفترة البرزخ التى يكون فيها الإنسان غائباً عن الدنيا و لذلك يمكن الاستفادة بهذا الإحساس في تقوية الإستعداد للآخرة فيتخيل الإنسان نفسه و كأنه في برزخ.

وشعور السجين بغيابه عن الدنيا يعالجه اليقين بأنه هو وجميع من في السجن وجميع القائمين على السجن ليسوا غائبين عن الله ...

ويعالج هذا الشعور في نفس الإخ السجين ... قول الله عز وجل : [وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إلا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إلا يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الارْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إلا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ [فالله يريد أن نعلّم قدر علم الله فهذه الورقة الصغيرة التى تتهاوى من

شجرة في هدأة الليل و ظلمته يعلمها الله و هو الذي قدر سقوطها فيبث ذلك في قلب السجين طمأنينة أنه ما دخل هذا السجن إلا بعلم الله و قدره فهو عندما يأكل اللقمة و يشرب شربة الماء و يأخذ النفس في هذا المكان يكون ذلك بقدر الله و بعلمه.
وبذلك تكون حياه السجين المسلم كلها اجر .. وقته ، طعامه و شرابه ، نومه ، ويقظته ، و عمره .. ويكون السجن هو أجر العمر .
وعندما يعلم أنه لا تغيب حبة في ظلمات الأرض عن الله فانه يوقن أنه لا يغيب في ظلمات السجن عن الله فالمسلم السجين في كتاب مبين. لانه لا حدث في الكون إلا في كتاب مبين .
وليكن كل سجين مسلم وثيقة من وثائق اليقين و الثبات و هذا عطاء السجناء.
وقد يعانى السجين من الحرمان من الحرية و الحركة
والحقيقة أن معالجة هذا السبب يتطلب مناقشة سريعة لمفهوم الحرية . . .
فعندما قالت أم مريم] إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ [كانت تقصد خالصاً و هذا ما أورده الطبري في كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن بقوله: عن مجاهد: {إني نذرت لك ما في بطني محررا} قال: خالصا لا يخالطه شيء من أمر الدنيا.
و هذا هو " الحر " الخالص لله ...
فالحرية مفهوم مرهون بالحركة و الغاية من الحركة ... و هي العبودية لله.
والذين لا يفهمون يقيدون حرية المسلم بحرمانه القدرة على الحركة كما يريد هو و هذا مفهوم

خاطئ فالحرية هي الحركة كما يريد الله و بمقدار التزامك بمراد الله تكون خالصاً محرراً
فعندما تدعوا إلى دين الله و تسجن تكون كما أراد الله ..فتكون حراً.
وعندما لا يتحكم فيك هواك تكون حراً.
وعندما لا تخضع لغير الله تكون حراً.

أما الحركة كلها .. فهي التحول أو الحول (و لا حول و لا قوة إلا بالله).
فعندما يرى المسلم السجين نفسه لا يستطيع أن يخطو خطوة إلا بأمر السجان يجب أن يتذكر أنه لا حول له و لا للسجان و لا لجميع الخلائق فنواصي العباد جميعهم بيد الله و هذا معنى (لا حول و لا قوة إلا بالله).
إن إحساس المسلم السجين بالخارج يفسره ابن تيميه تفسيراً رائعاً عندما كان يغلق عليه السجان باب زنزانته فيقول : (فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ ....
فكان يقول: " بستاني في صدري ..." فليس له تعلق بالخارج.
بستانه في صدره . . .
البستان هو المكان الجميل الواسع الذي يسعد من فيه ، كل ذلك في صدره في قلبه في عبادته في تلاوته في أذكاره ، اطمئنانه إلى رضا الله عنه.
وعندما يشعر السجين المسلم بالحرمان من الحركة في الأرض و معايشة آيات الله الكونية فهذا الأمر يعالجه .. الوصول المباشر إلى الغاية من الحركة و الغاية من المعايشة الكونية للآيات و هي ذكر الله.
إن الارتباط بين الذكر و تدبر الآيات الكونية حقيقة نفسية] إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ والأرض وَاخْتِلاَفِ

اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الألباب $ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ والأرض رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ [
فأنت تستطيع إذا ذكرت الله ..في السجن أن تستمتع بمتعه الرؤية الكونية كاملة .لأن هذه الرؤية غلبتها ذكر الله التي تبلغها في سجنك
وأنت عندما تذكر الله تتحقق في قلبك المتعة الكاملة فأنت عندما تقول في زنزانتك المظلمة . . . [أَصْبَحْنَا عَلَى فِطْرَةِ الْإِسْلَامِ وَعَلَى كَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ وَعَلَى دِينِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى مِلَّةِ أَبِينَا إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنْ الْمُشْرِكِينَ][1]
فيتحقق فيك أثرا أقوى من رؤيتك للصبح إذا ظهر.
إن معاناة المسلم في سجنه تنشأ عن أسباب محددة أهمها :
الإحساس بحرمانه من دوره في الدعوة:
وهذا السبب تعالجه سورة الكهف] إذ أوى الفتية إلى الكهف [فلقد كان الدور المحدد للفتية هو إعلان العقيدة والولاء ...
] وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ والأرض..[العقيدة.
] ... لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهاً لَقَدْ قُلْنَا إِذاً شَطَطاً [الموقف.
] هَؤُلَاء قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِباً [تقييم الواقع بمقتضى العقيدة
ثم كان الضرب على آذانهم سنين عددا.

(1) [صحيح] أخرجه أحمد في " مسنده " (3 / 406 – 407) من حديث عبد الرحمن بن أبي أبزي ، وصححه الشيخ الألباني في (صحيح الجامع / 2 / 854 – 855 / ح 4674) .

كان دورهم بعد إعلان موقفهم هو البقاء في الكهف . . بلا حركة .. و لا كلام .. و لا تفكير] فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَداً [.
ولكن هذا الدور كان سبباً في إيمان أمتهم ..
فقد تعلم الناس منهم التوحيد ..
والثبات عليه في أنفسهم ..
والمفاصلة عليه مع الناس.
وكان هذا الدرس كاملاً و كافياً .. ليؤمن الناس.
ونفس قصة الفتية تعالج أمراً آخر من أمور السجن و هو الضيق و عدم الاتساع.
إن الله قادر على أن يملأ الإنسان إحساساً باتساع المكان الذي يعيش فيه و لذلك يقول الله سبحانه] وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إلا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحمته ويُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقاً [و النشر لا يكون إلا في الاتساع و الفضاء و الأفق وكل ذلك يكون مع أخوه السجن كما كان مع فتية الكهف.

ب- التمكين :
إذا كان الابتلاء هو التجربة النفسية للتربية الكاملة فإن ارتباط الابتلاء بالتمكين يجب أن يكون امتداداً للتجربة النفسية من هذا الابتلاء أصلاً و هذا الامتداد يعنى الاستفادة من النتيجة النفسية لتجربة الابتلاء في تحقيق مقتضيات التمكين.
وأول هذه المقتضيات هو أن يكون الناجون من فتنة الابتلاء و الاستضعاف هم أحق الناس بالمكانة في واقع التمكين
هو أن يكون للمستضعفين في زمن الحركة ...
الولاية في نظام الدولة .. وذلك لأن الدولة
والسلطة فتنة لا تعطي إلا لمن لا تضره بإذن الله ..
والمستضعفون هم الذين عرضت على قلوبهم

الفتن كالحصير عودًا عودًا كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث[1] .
فالمستضعفون هم الذين لا تضرهم الدنيا والسلطان بعد أن مروا بمرحلة الاستضعاف ..
ومن ناحية ثالثة .. فإن توليه المستضعفين وهم خير من حفظهم الله من فتنة السلطة
سيكونون خير من يحفظون أمانة السلطة .
وهذه خطبة عتبة بن غزوان التي تمثل الوثيقة السياسية التي يتأكد منها منهج الدعوة في الانتقال من مرحلة الحركة إلى مرحلة الدولة .
خطبنا عتبة بن غزوان فحمد الله وأثنى عليه ، قال : أما بعد : فإن الدنيا قد أذنت بصرم وولت حذاء ولم يبق منها إلا صبابة كصبابة الإناء يتصابها صاحبها وإنكم منتقلون منها إلى دار لا زوال لها ؛ فانتقلوا بخير ما بحضرتكم فإنه قد ذكر لنا أن الحجر يلقى من شفة
جهنم فيهوي فيها سبعين عاماً لا يدرك لها قعراً ، و والله لتملأن ، أفعجبتم ، ولقد ذكر لنا أن ما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين سنة ؛ وليأتين عليها يوم وهو كظيظ من الزحام ولقد رأيتني سابع سبعة مع رسول الله ما لنا طعام

---

(1) [صحيح] أخرجه مسلم في(الإيمان / بـ بيان أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً / ح 144) من حديث حُذَيْفَةَ قَالَ : كُنَّا عِنْدَ عُمَرَ فَقَالَ أَيُّكُمْ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَذْكُرُ الْفِتَنَ فَقَالَ قَوْمٌ نَحْنُ سَمِعْنَاهُ فَقَالَ لَعَلَّكُمْ تَعْنُونَ فِتْنَةَ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَجَارِهِ ؟ قَالُوا : أَجَلْ . قَالَ : تِلْكَ تُكَفِّرُهَا الصَّلَاةُ وَالصِّيَامُ وَالصَّدَقَةُ ، وَلَكِنْ أَيُّكُمْ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَذْكُرُ الْفِتَنَ الَّتِي تَمُوجُ مَوْجَ الْبَحْرِ ؟ قَالَ حُذَيْفَةُ : فَأَسْكَتَ الْقَوْمُ . فَقُلْتُ : أَنَا . قَالَ : أَنْتَ لِلَّهِ أَبُوكَ . قَالَ حُذَيْفَةُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : [تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتْ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَالْآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ] قَالَ حُذَيْفَةُ : وَحَدَّثْتُهُ أَنَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا بَابًا مُغْلَقًا يُوشِكُ أَنْ يُكْسَرَ . قَالَ عُمَرُ : أَكَسْرًا ؟ لَا أَبَا لَكَ فَلَوْ أَنَّهُ فُتِحَ لَعَلَّهُ كَانَ يُعَادُ !! قُلْتُ : لَا بَلْ يُكْسَرُ وَحَدَّثْتُهُ أَنَّ ذَلِكَ الْبَابَ رَجُلٌ يُقْتَلُ أَوْ يَمُوتُ حَدِيثًا لَيْسَ بِالْأَغَالِيطِ . قَالَ أَبُو خَالِدٍ : فَقُلْتُ لِسَعْدٍ يَا أَبَا مَالِكٍ مَا أَسْوَدُ مُرْبَادًّا ؟ قَالَ : شِدَّةُ الْبَيَاضِ فِي سَوَادٍ . قَالَ : قُلْتُ : فَمَا الْكُوزُ مُجَخِّيًا ؟ قَالَ : مَنْكُوسًا .

إلا ورق الشجر حتى قرحت أشداقنا فالتقطت بردة فشققتها بيني وبين سعد بن مالك فاتزرت بنصفها واتزر سعد بنصفها فما أصبح اليوم منا أحد إلا أصبح أميراً على مصر من الأمصار ، وإني أعوذ بالله أن أكون في نفسي عظيماً وعند الله صغيراً ، وإنها لم تكن نبوة قط إلا تناسخت حتى يكون آخر عاقبتها ملكاً فستخبرون وتجربون الأمراء بعدنا[1] .

ومن تحليل الوثيقة يتبين :

كيف أن الولاية لم تؤثر في إيمان الولاة وارتباطهم بالآخرة واحتقارهم لشأن الدنيا ، وكيف أن الولاية لم تنس الولاة فترة الاستضعاف وأنها لا زالت هي الفترة التي تملأ عقله ووجدانه ولم تزحزحها عن ضميره ممارسة الحكم . وكيف أن الولاية لم تصبه بأمراضها فنراه يستعيذ بالله أن يكون في نفسه عظيماً وعند الله صغيراً ، وكيف أن الولاية مرحلة ستمر ولن تبقى لهم وأنه سيأتي ولاة آخرون محددو الصفات والمعالم .

وهناك ظاهره نفسيه مرتبطه ارتباطا وثيقا بحاله التمكين و هى ظاهره النفاق .

- النفاق : هي الظاهرة التي تنشأ نتيجة للتمكين

---

(1) [صحيح] أخرجه مسلم في (الزهد والرقائق / ـ باب / ح 2967) من حديث خَالِدِ بْنِ عُمَيْرٍ الْعَدَوِيِّ قَالَ : [خَطَبَنَا عُتْبَةُ بْنُ غَزْوَانَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ آذَنَتْ بِصَرْمٍ وَوَلَّتْ حَذَّاءَ وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا صُبَابَةٌ كَصُبَابَةِ الْإِنَاءِ يَتَصَابُّهَا صَاحِبُهَا وَإِنَّكُمْ مُنْتَقِلُونَ مِنْهَا إِلَى دَارٍ لَا زَوَالَ لَهَا فَانْتَقِلُوا بِخَيْرِ مَا بِحَضْرَتِكُمْ فَإِنَّهُ قَدْ ذُكِرَ لَنَا أَنَّ الْحَجَرَ يُلْقَى مِنْ شَفَةِ جَهَنَّمَ فَيَهْوِي فِيهَا سَبْعِينَ عَامًا لَا يُدْرِكُ لَهَا قَعْرًا وَاللَّهِ لَتُمْلَأَنَّ أَفَعَجِبْتُمْ وَلَقَدْ ذُكِرَ لَنَا أَنَّ مَا بَيْنَ مِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ مَسِيرَةُ أَرْبَعِينَ سَنَةً وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَيْهَا يَوْمٌ وَهُوَ كَظِيظٌ مِنْ الزِّحَامِ وَلَقَدْ رَأَيْتُنِي سَابِعَ سَبْعَةٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا لَنَا طَعَامٌ إِلَّا وَرَقُ الشَّجَرِ حَتَّى قَرِحَتْ أَشْدَاقُنَا فَالْتَقَطْتُ بُرْدَةً فَشَقَقْتُهَا بَيْنِي وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ فَاتَّزَرْتُ بِنِصْفِهَا وَاتَّزَرَ سَعْدٌ بِنِصْفِهَا فَمَا أَصْبَحَ الْيَوْمَ مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا أَصْبَحَ أَمِيرًا عَلَى مِصْرٍ مِنْ الْأَمْصَارِ وَإِنِّي أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ فِي نَفْسِي عَظِيمًا وَعِنْدَ اللَّهِ صَغِيرًا وَإِنَّهَا لَمْ تَكُنْ نُبُوَّةٌ قَطُّ إِلَّا تَنَاسَخَتْ حَتَّى يَكُونَ آخِرُ عَاقِبَتِهَا مُلْكًا فَسَتُخْبَرُونَ وَتُجَرِّبُونَ الْأُمَرَاءَ بَعْدَنَا] .

و التصوير القرآني لحالة النفاق هو أدق تفسير نفسي لهذه الحالة :

إظهار غير ما يبطن :] وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الاخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ[(البقرة : 8).

الخداع:] يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إلا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ [

(البقرة : 9).

مرض القلب:] فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ [(البقرة : 10).

] مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاَرَاً..[أى إظهار المنافق غير ما يبطن بقصد و القصد ثابت و هو الخداع للذين آمنوا.

" أو كصيب من السماء فيه ظلمات و رعد و برق ، يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت ، و الله محيط بالكافرين. يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه و إذا أظلم عليهم قاموا ، و لو شاء الله لذهب بسمعهم و أبصارهم إن الله على كل شىء قدير ".

إنه مشهد عجيب ، حافل بالحركة ، مشوب بإلاضطراب . فيه تيه و ضلال ، و فيه هول و رعب ، و فيه فزع و حيرة و فيه أضواء و أصداء . . صيب من السماء هاطل غزير " فيه ظلمات و رعد و برق" . . " كلما أضاء لهم مشوا فيه " . . " و إذا أظلم عليهم قاموا " . . أى وقفوا حائرين لا يدرون أين يذهبون. و هم مفزعون : " يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت " . .

إن الحركة التى تغمر المشهد كله: من الصيب الهاطل ، إلى الظلمات و الرعد و البرق ، إلى الحائرين المفزعين فيه ، إلى الخطوات الوجلة ، التى تقف عندما يخيم الظلام . . إن هذه الحركة في المشهد لترسم – عن طريق إلاثر إلايحائى – حركة التيه و إلاضطراب و القلق و إلارجحة التى يعيش فيها أولئك المنافقون . . بين لقائهم للمؤمنين ، و عودتهم للشياطين. بين ما يقولونه لحظة ثم ينكصون عنه فجأة . بين ما يطلبونه من هدى و نور و ما يفيئون إليه من ضلال و ظلام . . فهو مشهد حسى يرمز لحالة نفسية ، و يحسم صورة شعورية ، و هو طرف من طريقة القرآن العجيبة في تجسيم أحوال النفوس كأنها مشهد محسوس[1].

(1) الظلال (تفسير سورة البقرة صـ 46) .

العلاجات النفسية الشرعية

والعلاج النفسى في الدراسه إلاسلاميه يقوم على إلاساس العام للعلاج وهو قول الله

(وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمه) غير أن التفسير إلاساسى للفاعلية الكونية القرآنية هو مضمون الحق . ومثال الفاعلية القرآنية الذى يؤكد إلارتباط بين مضمون الحق في إلايات و فاعليتها من خلال اشتمال الفاتحة على مضمون الحق الكامل ، و فاعليتها الكونية الثابته ، فيقول ابن القيم في اشتمال الفاتحة على الرد على جميع المبطلين من أهل الملل و النحل والرد على أهل البدع و الضلال من هذه إلامة :

و هذا يعلم بطريقين مجمل ومفصل :

اما المجمل فهو أن الصراط المستقيم متضمن معرفة الحق ، وايثاره ، و تقديمه على غيره ، و محبته ، و إلانقياد له ، و الدعوة اليه ، و جهاد أعدائه بحسب إلامكان .

والحق هو ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه و سلم و أصحابه ، وما جاء علما و عملا في باب صفات الرب سبحانه و أسمائه و توحيده و أمره و نهيه ووعده ووعيده ، وفي حقائق إلايمان التى هى منازل السائرين الى الله تعالى ، وكل ذلك مسلم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم دون آراء الرجال و أوضاعهم و أفكارهم واصطلاحاتهم .

فكل علم أو عمل أو حقيقة أو حال أو مقام خرج من مشكاة نبوته ، و عليه السكة المحمدية بحيث يكون ضرب المدينة فهو من الصراط المستقيم . وما لم يكن كذلك فهو من صراط أهل الغضب و الضلال . فما ثم خروج عن هذه الطرق الثلاثه

طريق الرسول صلى الله عليه وسلم وكما جاء به ، وطريق أهل الغضب وهى طريق من عرف الحق و عانده ، و طريق أهل الضلال وهى طريق من أضله الله عنه . و لهذا قال عبد الله بن عباس و جابر بن عبدالله رضى الله عنهما : (الصراط المستقيم هو إلاسلام) وقال عبدالله بن مسعود وعلى بن أبى طالب رضى الله عنهما : (هو القرآن) وفيه حديث مرفوع في الترمذى وغيره . وقال سهل بن عبدالله : (طريق السنه والجماعة) . وقال بكر بن عد الله المزنى : (طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم) .

ولا ريب أن ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم و أصحابه علما و عملا وهو معرفة الحق و تقديمه وايثاره على غيره ، هو الصراط المستقيم ، وكل هذه إلاقوال المتقدمة دالة عليه ، جامعه له . فهذا الطريق المجمل يعلم به أن كل ما خالفه فهو الباطل ، وهو من صراط الأمتين أمه الغضب و أمه أهل الضلال .

وأما تضمنها لشفاء إلابدان فنذكر فيه ما جاءت به السنة وما شهدت به قواعد الطب ودلت عليه التجربة . فأما ما دلت عليه السنة ، ففي الصحيح من حديث أبى المتوكل الناجي عن أبى سعيد الخدري أن ناسا من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم مروا بحى من العرب فلم يقروهم ولم يضيفوهم فلدغ سيد الحي فأتوهم فقالوا : هل عندكم من رقية أو هل فيكم من راق ؟ فقالوا : نعم ولكنكم لم تقرونا ، فلا نفعل حتى تجعلوا لنا جعلا . فجعلوا لهم على ذلك قطعا من الغنم ، فجعل رجل منا يقرأ عليه الفاتحة ، فقام كأن لم يكن به قلبه فقلنا لا تعجلوا حتى نأتى النبى صلى الله عليه

وسلم فأتيناه فذكرنا له ذلك فقال : (ما يدريك أنها رقية كلوا واضربوا لى معكم بسهم) [1].

فقد تضمن هذا الحديث حصول شفاء هذا اللديغ بقراءة الفاتحة عليه فأغنته عن الدواء ، وربما بلغت من شفائه ما لم يبلغه الدواء ، وهذا مع كون المحل غير قابل ، واما لكون هؤلاء الحي غير المسلمين ، أو أهل بخل ولؤم فكف اذا كان ةالمحمل قابلا ؟!

ثم يأتي الموضوع المباشر للاستشهاد بقول ابن القيم . ومنكر هذا ليس معدودا من بنى آدم إلا بالصورة والشكل فاذا قابلت النفس الزكية العلية الشريفة التى فيها غضب و حمية للحق هذه النفوس الخبيثة السمة ، و تكيفت بحقائق الفاتحة و أسرارها ومعانيها ، وما تضمنه من التوحيد ، و التوكل ، والثناء على الله ، وذكر أصول أسمائة الحسنى ، وذكر اسمه الذي ما ذكر على شر إلا أزالة ومحققة ، ولا على خير إلا نماه وزاده دفعت هذه النفوس بما تكيفت به من ذلك أثر تلك النفس الخبيثة الشيطانية ، فحصل البرء ، فان مبنى الشفاء و البرء على دفع الضد بضده ، و حفظ الشيء بمثله فالصحة تحفظ بالمثل و المرض يدفع بالضد ، أسباب ربطها بمسبباتها الحكيم العليم

---

(1) [صحيح] أخرجه البخاري في (الإجارة / بـ ما يعطى في الرقية على أحياء العرب بفاتحة /ح 2276) من حديث أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : انْطَلَقَ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفْرَةٍ سَافَرُوهَا حَتَّى نَزَلُوا عَلَى حَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ فَاسْتَضَافُوهُمْ فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمْ فَلُدِغَ سَيِّدُ ذَلِكَ الْحَيِّ فَسَعَوْا لَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ لَا يَنْفَعُهُ شَيْءٌ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لَوْ أَتَيْتُمْ هَؤُلَاءِ الرَّهْطَ الَّذِينَ نَزَلُوا لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ عِنْدَ بَعْضِهِمْ شَيْءٌ فَأَتَوْهُمْ فَقَالُوا يَا أَيُّهَا الرَّهْطُ إِنَّ سَيِّدَنَا لُدِغَ وَسَعَيْنَا لَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ لَا يَنْفَعُهُ فَهَلْ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْكُمْ مِنْ شَيْءٍ فَقَالَ بَعْضُهُمْ نَعَمْ وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرْقِي وَلَكِنْ وَاللَّهِ لَقَدْ اسْتَضَفْنَاكُمْ فَلَمْ تُضَيِّفُونَا فَمَا أَنَا بِرَاقٍ لَكُمْ حَتَّى تَجْعَلُوا لَنَا جُعْلًا فَصَالَحُوهُمْ عَلَى قَطِيعٍ مِنْ الْغَنَمِ فَانْطَلَقَ يَتْفِلُ عَلَيْهِ وَيَقْرَأُ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ فَكَأَنَّمَا نُشِطَ مِنْ عِقَالٍ فَانْطَلَقَ يَمْشِي وَمَا بِهِ قَلَبَةٌ قَالَ فَأَوْفَوْهُمْ جُعْلَهُمْ الَّذِي صَالَحُوهُمْ عَلَيْهِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ اقْسِمُوا فَقَالَ الَّذِي رَقَى لَا تَفْعَلُوا حَتَّى نَأْتِيَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنَذْكُرَ لَهُ الَّذِي كَانَ فَنَنْظُرَ مَا يَأْمُرُنَا فَقَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرُوا لَهُ فَقَالَ : [وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّهَا رُقْيَةٌ ؟ ثُمَّ قَالَ : قَدْ أَصَبْتُمْ اقْسِمُوا وَاضْرِبُوا لِي مَعَكُمْ سَهْمًا فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ] .

خلقا وأمرا . ولا يتم هذا إلا بقوة من النفس الفاعلة ، وقبول من الطبيعة المنفعلة . فلو لم تنفعل نفس الملدوغ لقبول الرقية ، ولم تقو نفس الراقي على التأثير لم يحصل البرء .

فهنا أمور ثلاثة : موافقة الدواء للداء و بذل الطبيب له وقبول طبيعة العليل .

فمتى تخلف واحد منها لم يحصل الشفاء ، واذا اجتمعت حصل الشفاء ولابد ، بأذن الله سبحانه وتعالى .

ومن عرف هذا ، كما ينبغي تبين له أسرار الرقي . ويميز بين النافع منها و غيره ، ورقي الداء بما يناسبه من الرقي ، و تبين له أن الرقية براقيها و قبول المحل ، كما أن السيف بضاربه مع قبول المحل للقطع . وهذه اشارة مطلعة على ما وراءها لمن دق نظرة و حسن تأمله والله أعلم .

أما المنهج العام للعلاج فهو الوحى و التجربه كما قال ابن حجر في فتح البارى في شرح العلاج بالسعوط في قوله عليه الصلاه والسلام (عليكم بهذا العود الهندى فان فيه سبعه أشفيه يستعط به من العذره و يلد به من ذات الجنب)[1] قال ابن حجر (كذا وقع إلاقتصار في الحديث من السبعه على اثنتين وأجاب بعض الشراح بأن السبعه علمت بالوحى وما ذاد عليها بالتجربه وفي ذلك يقول ابن القيم و اما شهادة التجارب بذلك فهى أكثر من أن تذكر ، وذلك في كل زمان . وقد جربت أنا

---

(1) [متفق عليه] أخرجه البخاري في (الطب / بـ اللدود / ح 5713) ، ومسلم في (السلام / بـ التداوي بالعود الهندي وهو الكست / ح 287) من حديث أُمِّ قَيْسٍ قَالَتْ : دَخَلْتُ بِابْنٍ لِي عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ أَعْلَقْتُ عَلَيْهِ مِنْ الْعُذْرَةِ فَقَالَ : [عَلَى مَا تَدْغَرْنَ أَوْلَادَكُنَّ بِهَذَا الْعِلَاقِ عَلَيْكُنَّ بِهَذَا الْعُودِ الْهِنْدِيِّ فَإِنَّ فِيهِ سَبْعَةَ أَشْفِيَةٍ مِنْهَا ذَاتُ الْجَنْبِ يُسْعَطُ مِنْ الْعُذْرَةِ وَيُلَدُّ مِنْ ذَاتِ الْجَنْبِ] فَسَمِعْتُ الزُّهْرِيَّ يَقُولُ : بَيَّنَ لَنَا اثْنَيْنِ وَلَمْ يُبَيِّنْ لَنَا خَمْسَةً قُلْتُ لِسُفْيَانَ فَإِنَّ مَعْمَرًا يَقُولُ أَعْلَقْتُ عَلَيْهِ ؟! قَالَ : لَمْ يَحْفَظْ إِنَّمَا قَالَ : أَعْلَقْتُ عَنْهُ حَفِظْتُهُ مِنْ فِي الزُّهْرِيِّ وَوَصَفَ سُفْيَانُ الْغُلَامَ يُحَنِّكُ بِالْإِصْبَعِ وَأَدْخَلَ سُفْيَانُ فِي حَنَكِهِ إِنَّمَا يَعْنِي رَفْعَ حَنَكِهِ بِإِصْبَعِهِ وَلَمْ يَقُلْ أَعْلِقُوا عَنْهُ شَيْئًا] .

(الكلام لابن القيم) من ذلك في نفسي وفي غيري أمورا عجيبة ، ولا سيما مدة المقام مكة ، فانه كان يعرض لى إلام مزعجه بحيث تكاد تقطع الحركة منى ، وذلك في أثناء الطواف وغيره ، فأبادر الى قراءة الفاتحة وأمسح على محل الألم فكأنه حصاة تسقط . جربت ذلك مرارا عديدة ، وكنت آخذ قدرا من ماء زمزم ، فأقرأ عليه الفاتحة مرارا ، فأشربه فأجد به النفع و القوة ما لم أعهد مثله في الدواء . وإلامر أعظم من ذلك ، ولكن بحسب قوة إلايمان وصحة اليقين والله المستعان .

هذا من جهه منهج العلاج أما من جهه من يتلقى العلاج ففيه شرط واجب وهو حسن الظن بالله

ودليله قول رسول الله عن رب العزة : " أنا عند ظن عبدي بى "[1].. فالله سبحانه وتعالى بقضائه وقدره وقدرته؛ عند ظن العبد به...

وعوامل تحقيق حسن الظن بالله... تقوم أساساً على إلالفاظ.. التي تكون مثل الفأل بإلالفاظ.

وباعتبار أثر إلالفاظ في تحقيق الفأل وحسن الظن. كانت أدعية الرسول بالشفاء من إلامراض، قائمة على ألفاظ الشفاء بصورة متكررة.....
مثل " اللهم رب الناس، مذهب الباس اشف أنت الشافي، فإنه لاشفاء إلاشفاؤك شفاء لا يغادر سقماً "[1]...

---

(1) [متفق عليه] اخرجه البخاري في (التوحيد / بـ قول الله تعالى ويحذركم الله نفسه / ح 7405) ، ومسلم في (الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار/ بـ الحث على ذكر الله تعالى / ح 2675) من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : [أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي إِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً] .

(1) [متفق عليه] أخرجه البخاري في (الطب / بـ رقية النبي صلى الله عليه وسلم / ح 5742) من حديث عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ : دَخَلْتُ أَنَا وَثَابِتٌ عَلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ فَقَالَ ثَابِتٌ : يَا أَبَا حَمْزَةَ اشْتَكَيْتُ فَقَالَ أَنَسٌ : أَلَا أَرْقِيكَ بِرُقْيَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ قَالَ : بَلَى . قَالَ : [اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ مُذْهِبَ الْبَاسِ اشْفِ أَنْتَ الشَّافِي لَا شَافِيَ إِلَّا أَنْتَ شِفَاءً لَا يُغَادِرُ

وبعد إلاساس العام للعلاج النفسى يكون العلاج من خلال عده اتجاهات

1 ـ الرقي الشرعيه المتعلقه بإلاحوال النفسيه مثل الرقيه من الجنون وإلارق
وفيه هدى النبى صلى الله عليه وسلم في علاج الفزع وإلارق المانع من النوم عن بريدة قال : شكى خالد إلى النبي فقال : يا رسول الله، ما أنام الليل من إلارق، فقال النبي " إذا أويت إلى فراشك فقل : اللهم رب السموات السبع وما أظلت، كن لى جاراً من شر خلقك كلهم جميعاً أن يفرط على أحد منهم أو يبغي عليّ , عز جارك وجل ثناؤك ولا إله غيرك "[2]

وأيضاً فإن رسول الله كان يعلم أمته الوقاية من الفزع : "أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه وشر عباده ومن همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون "[3].

سَقَمًا] .

(2) [ضعيف] أخرجه الترمذي في (الدعوات / بـ منه / ح 3523) من حديث بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : شَكَا خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ الْمَخْزُومِيُّ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ : مَا أَنَامُ اللَّيْلَ مِنْ الْأَرَقِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : [إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَقُلْ اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَمَا أَظَلَّتْ وَرَبَّ الْأَرَضِينَ وَمَا أَقَلَّتْ وَرَبَّ الشَّيَاطِينِ وَمَا أَضَلَّتْ كُنْ لِي جَارًا مِنْ شَرِّ خَلْقِكَ كُلِّهِمْ جَمِيعًا أَنْ يَفْرُطَ عَلَيَّ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَوْ أَنْ يَبْغِيَ عَزَّ جَارُكَ وَجَلَّ ثَنَاؤُكَ وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ] قَالَ الترمذي : هَذَا حَدِيثٌ لَيْسَ إِسْنَادُهُ بِالْقَوِيِّ وَالْحَكَمُ بْنُ ظُهَيْرٍ قَدْ تَرَكَ حَدِيثَهُ بَعْضُ أَهْلِ الْحَدِيثِ وَيُرْوَى هَذَا الْحَدِيثُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُرْسَلًا مِنْ غَيْرِ هَذَا الْوَجْهِ ، وضعف الشيخ الألباني في (السلسلة الضعيفة / 5 / 421 / ح 2400) .

(3) [صحيح] أخرجه الترمذي في (الدعوات / بـ منه / ح 3528) ، وأبو داود في (الطب / بـ كيف الرقى / ح 3893) من حديث عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : كَانَ يُعَلِّمُهُمْ مِنْ الْفَزَعِ كَلِمَاتٍ [أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ مِنْ غَضَبِهِ وَشَرِّ عِبَادِهِ وَمِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَنْ يَحْضُرُونِ] ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب ، وصححه الشيخ الألباني في (صحيح الترمذي / 3 / 171 / ح 2793) .

2 ـ الطب النبوى و أهمه قول الله في العسل (فيه شفاء للناس)وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (اذا كان الشفاء ففي ثلاثه شربه عسل وشرطه محجم وكيه نار وأنهى أمتى عن الكى)[1] . و كذلك قوله (الحبه السوداء فيها شفاء من كل داء)[2]

ومثاله في العلاجات النفسية قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (التلبينه تذهب ببعض الحزن)[3] (العلاج من الاكتئاب) العلاج بالتلبينه: "دقيق الشعير بنخالته".

وكان من هديه تغذية المريض بألطف مايعتاده من الاغذية، واستخدامه الغذاء كدواء. ففي " الصحيحين " من حديث عروة عن عائشة : أنها كانت إذا مات الميت من أهلها، واجتمع لذلك النساء ثم تفرقن إلى أهلهن؛ أمرت ببرمة من تلبينة فطبخت، وصنعت ثريداً، ثم صبت التلبينة عليه، ثم قالت : كلوا منها؛ فإني سمعت رسول الله يقول : التلبينة مَجَمَّة لفؤاد المريض؛ تذهب ببعض الحزن "[4] (أخرجه البخاري ومسلم).

---

(1) [متفق عليه] أخرجه البخاري في (الطب / بـ الحجامة من الشقيقة والصداع / ح 5703) ، ومسلم في (السلام / بـ لكل داء دواء واستحباب التداوي / ح 2205) من حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : [إِنْ كَانَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَدْوِيَتِكُمْ خَيْرٌ فَفِي شَرْبَةِ عَسَلٍ أَوْ شَرْطَةِ مِحْجَمٍ أَوْ لَذْعَةٍ مِنْ نَارٍ وَمَا أُحِبُّ أَنْ أَكْتَوِيَ] .

(2) [متفق عليه] أخرجه البخاري في (الطب / بـ الحبة السوداء / ح 5688) ، ومسلم في (السلام / بـ التداوي بالحبة السوداء / ح 2215) من حديث أبي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي الْحَبَّةِ السَّوْدَاءِ : [شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ إِلَّا السَّامَ] قَالَ ابْنُ شِهَابٍ : وَالسَّامُ الْمَوْتُ وَالْحَبَّةُ السَّوْدَاءُ الشُّونِيزُ .

(3) [متفق عليه] اخرجه البخاري في (الأطعمة / بـ التلبينة / ح 5417) ، ومسلم في (السلام / بـ التلبينة مجمة لفؤاد المريض / ح 2216) من حديث عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَنَّهَا كَانَتْ إِذَا مَاتَ الْمَيِّتُ مِنْ أَهْلِهَا فَاجْتَمَعَ لِذَلِكَ النِّسَاءُ ثُمَّ تَفَرَّقْنَ إِلَّا أَهْلَهَا وَخَاصَّتَهَا أَمَرَتْ بِبُرْمَةٍ مِنْ تَلْبِينَةٍ فَطُبِخَتْ ثُمَّ صُنِعَ ثَرِيدٌ فَصُبَّتْ التَّلْبِينَةُ عَلَيْهَا ثُمَّ قَالَتْ كُلْنَ مِنْهَا فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : [التَّلْبِينَةُ مُجِمَّةٌ لِفُؤَادِ الْمَرِيضِ تُذْهِبُ بَعْضَ الْحُزْنِ] .

(4) [متفق عليه] وقد تقدم في الذي قبله .

وعنها : كان رسول الله إذا قيل له : إن فلاناً وجع لا يطعم الطعام؛ قال : عليكم بالتلبينة فحسوه إياها "، ويقول : " والذي نفسي بيده؛ إنها تغسل بطن أحدكم كما تغسل إحداكن وجهها من الوسخ "[1]. (رواه أحمد).

و التلبين : هو الحساء الرقيق الذي هو في قوام اللبن، ومنه اشتق اسمه. متخذ من دقيق الشعير بنخالته.
قال الهروي : سميت تلبينة لشبهها باللبن لبياضها ورقتها. قال ابن القيم : وهذا الغذاء هو النافع للعليل، وهو الرقيق النضيج، لا الغليظ النيئ، وإذا شئت أن تعرف فضل التلبينة، فاعرف فضل ماء الشعير، بل هي ماء الشعير لهم، فإنها حساء متخذ من دقيق الشعير بنخالته. والمقصود : أن ماء الشعير مطبوخاً صحاحاً ينفذ سريعاً، ويجلو جلاء ظاهراً، ويغذي غذاءً لطيفاً، وإذا شرب حاراً كان جلاؤه أقوي، ونفوذه أسرع، وإنماؤه للحرارة الغريزية أكثر، وتلميسه لسطوح المعدة أوفق.
وقوله صلى الله عليه وسلم فيها : " مَجَمَّة لفؤاد المريض "[2] يروى بوجهين : بفتح الميم والجيم، وبضم الميم وكسر الجيم. وإلاول أشهر، ومعناه : أنها مريحة له؛ أي : تريحه وتسكنه، من إلاجمام، وهو الراحة.

وقوله : " تذهب ببعض الحزن " هذا- والله أعلم - لأن الغم والحزن يبردان المزاج، ويضعفان الحرارة الغريزية لميل الروح الحامل لها إلى جهة القلب

---

(1) [ضعيف] أخرجه أحمد في " مسنده " (6 / 79) قال : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ حَدَّثَنَا أَيْمَنُ بْنُ نَابِلٍ عَنْ أُمِّ كُلْثُومٍ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا قِيلَ لَهُ إِنَّ فُلَانًا وَجِعٌ لَا يَطْعَمُ الطَّعَامَ قَالَ : [عَلَيْكُمْ بِالتَّلْبِينَةِ فَحَسُّوهُ إِيَّاهَا فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهَا لَتَغْسِلُ بَطْنَ أَحَدِكُمْ كَمَا يَغْسِلُ أَحَدُكُمْ وَجْهَهُ بِالْمَاءِ مِنْ الْوَسَخِ] ، وفي سنده أم كلثوم لا تعرف كما قال الذهبي وغيره .
(2) [متفق عليه] وقد تقدم من حديث عائشة .

الذي هو منشؤها، وهذا الحساء يقوي الحرارة الغريزية بزيادة مادتها، فتزيل أكثر ما عرض له من الغم والحزن.

وقد يقال - وهو إلاقرب - : إنها تذهب ببعض الحزن بخاصية فيها من جنس خواص إلاغذية المفرحة، فإن من إلاغذية ما يفرح بالخاصية، والله أعلم.

وقد يقال : إن قوى الحزين تضعف باستيلاء اليُبس على أعضاءه وعلى معدته خاصة لتقليل الغذاء...، وهذا الحساء يرطبها، ويقويها، ويغذيها، ويفعل مثل ذلك بفؤاد المريض، لكن المريض كثيراً ما يجتمع في معدته خلط مراري أو بلغمي أو صديدي، وهذا الحساء يجلو ذلك عن المعدة ويسروه ويحدره، ويميعه، ويعدل كيفيته، ويكسر سورته فيريحها، ولاسيما لمن عادته إلاغتذاء بخبز الشعير، وهي عادة أهل المدينة إذ ذاك، وكان هو غالب قوتهم وكانت الحنطة عزيزة عندهم. والله أعلم.

روى ابن ماجة من حديث عائشة، قالت : كان رسول الله إذا أخذ أحداً من أهله الوعك؛ أمر بالحساء من الشعير فصنع، ثم أمرهم فحسوا منه، ثم يقول :" إنه ليرتو فؤاد الحزين، ويسرو فؤاد السقيم كما تسرو إحداكن الوسخ بالماء عن وجهها "[1]. (أخرجه ابن ماجة).

ومعنى يرتوه : يشده ويقويه. ويسرو : يكشف ويزيل.

وقد تقدم أن هذا هو ماء الشعير المغلي، وهو أكثر غذاء من سويقه، وهو نافع للسعال، وخشونة

---

(1) [ضعيف] أخرجه الترمذي في (الطب / بـ ما جاء ما يطعم المريض / ح 2039) ، وابن ماجة في (الطب / بـ التلبينة / ح 3488) من حديث عَائِشَةَ قَالَتْ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَخَذَ أَهْلَهُ الْوَعْكُ أَمَرَ بِالْحَسَاءِ قَالَتْ وَكَانَ يَقُولُ :[إِنَّهُ لَيَرْتُو فُؤَادَ الْحَزِينِ وَيَسْرُو عَنْ فُؤَادِ السَّقِيمِ كَمَا تَسْرُو إِحْدَاكُنَّ الْوَسَخَ عَنْ وَجْهِهَا بِالْمَاءِ] ، وضعفه الشيخ الألباني في (ضعيف الترمذي / 228 / ح 350) .

الحلق، صالح لقمع حدة الفضول، مدر للبول، جلاء لما في المعدة، قاطع للعطش، مطفئ للحرارة، وفيه قوة يجلو بها ويلطف ويحلل.

وصفته : أن يؤخذ من الشعير الجيد المرضوض مقدار، ومن الماء الصافي العذب خمسة أمثاله، ويلقى في قدر نظيف، ويطبخ بنار معتدلة إلى أن يبقى منه خمساه،ويصفي، ويستعمل منه مقدار الحاجة مُحَلاً. (و هذا في الشعير الحصى) (زاد المعاد – لابن القيم).

علاقة الشعير بأمراض القلب وضغط الدم والكوليسترول :

لكي تعرف أهمية الشعير للقلب وإلاوعية الدموية يجب علينا معرفة خطر زيادة نسبة الكوليستول في الدم على القلب والدورة الدموية.

يتميز الشعير بفاعليته الفائقة في تقليل مستويات الكوليسترول في الدم بما يحتويه من مركبات كيميائية لذلك يعتبر الشعير علاجاً لأمراض القلب.

الشعير وأمراض ضغط الدم : أكدت الأبحاث أن تناول الأطعمة التي تحتوى على عنصر البوتاسيوم تقي من الإصابة من ارتفاع ضغط الدم، ويحتوى الشعير على عنصر البوتاسيوم؛ حيث إن البوتاسيوم يخلق توازناً بين الملح والمياه داخل الخلية.

وكذلك فإن الشعير له خاصية في إدرار البول حتى إن هناك أدوية تعمل على إدرار البول، وهي أشهر إلادوية المستعملة لمرضى ضغط الدم.

وفي ضوء قول رسول الله " التلبية تذهب – ببعض الحزن " يمكن تفسير علاقة الشعير بالحزن و ذلك باعتبار أن الاكتئاب هو الحد النهائي للحزن فالاكتئاب خلل كيميائي و على أساس هذه الحقيقة العلمية تكون علاقة البوتاسيوم بالاكتئاب :

ففي حالة نقص البوتاسيوم يزداد شعور إلانسان بإلاكتئاب والحزن، ويجعله سريع الغضب وإلانفعال والعصبية.

وتشير الدراسات العلمية أن المعادن مثل البوتاسيوم والماغنسيوم لها تأثير على الموصلات العصبية التي تساعد على التخفيف من حإلات إلاكتئاب، وتحتوى حبة الشعير على عنصر البوتاسيوم والماغنسيوم.

فيتامين :"B " وإلاكتئاب :

تقول إحدى التقارير العلمية : يشعر الإنسان بالميل للاكئئاب، وقد يكون أحد مسببات أعراض الاكئتاب هو تأخر في العملية الفسيولوجية لتوصيل نبضات الأعصاب الكهربية، وهذا يسبب نقص فيتامين B. ولذلك يجب مراعاة زيادة الكمية المأخوذة من بعض المنتجات، وأشار التقرير العلمي إلى أن الشعير ضمن هذه المنتجات.

مضادات إلاكسدة وإلاكتئاب والشيخوخة :

(إن إعطاء جرعات مكثفة من مجموعة معينة من العقاقير التي تعرف باسم مضادات الأكسدة (فيتامين E ,A)، تساعد في شفاء حالات الاكتئاب لدى المسنين في فترة زمنية قصيرة تتراوح من شهر إلى شهرين، وتمتاز حبة الشعير بوجود مضادات الأكسدة، مثل (فيتامين E ,A).

ويوصف الشعير لأمراض الصدر (السل، الرشح المستعصي)، ولأمراض الضعف العام، وبطء النمو (عند إلاطفال)، وضعف المعدة وإلامعاء، وضعف الكبد، وضعف إفراز الصفراء، كما يوصف لالتهاب إلامعاء، وكذلك أمراض التهابات المجاري البولية (التهاب المثانة، التهاب الكلى) والحميات وارتفاع ضغط الدم،كما إن مغلي الشعير يستعمل (غرغرة)[1].

3 ـ الطب التقليدي : ويرجع فيه للاطباء المتخصصين ودليل ذلك شرعاقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (عباد الله تداوا فما من داء إلا له دواء)[2]

وفي مجال الطب التقليدى يجب الحذر من اى مخالفه شرعيه والحذر من اى تداوى محرم لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما جعل الله شفاء أمتى في ما حرم عليها)[3]

ومن إلاسس العامه في العلاج النفسي ... ضروره التفريق بين المرض النفسي وأمراض الشيطان مثل المس أو السحر .. لان إلاعراض بينهما مختلطه (كلام ابن حجر)

وعناصر التفريق تبدأ من إثبات نوع المرض النفسي بأساليب الطب النفسي بالفحوصات الطبيه و التحاليل .

فاذا أثبتت إلاشاعات مثلا بؤره صرعيه في المخ ...

---

(1) يمكن الرجوع إلى كتاب العلاج بالتلبينة أ / عبد الكريم التاجوري ، ووزاد المعاد (4 / 109 – 111) .

(2) [صحيح] أخرجه مسلم في (السلام / بـ لكل داء دواء واستحباب التداوي / ح 2204) من حديث جَابِرٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : [لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ فَإِذَا أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ بَرَأَ بِإِذْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ] .

(3) [صحيح] أخرجه البخاري تعليقاً بالجزم في (الأشربة / بـ شراب الحلواء والعسل) ، ابن أبي شيبة عن جرير عن منصور ، وسنده صحيح على شرط الشيخين ، وصححه الشيخ شعيب الأرنؤوط ، وعبد القادر الأرنؤوط في " تحقيق زاد المعاد " (4 / 142) .

فلا يصح أن اعتبر هذا الصرع (شيطاني)

واذا كان هناك صرع (شيطان) ولم يثبت له أى سبب طبي فلا يصح أن نعتبره مرضا نفسيا .

ومن الضرورى في هذا التفريق التأكيد علي شواهد المرض النفسي أو الشيطاني واثبات حقيقه المرض بصوره قاطعه ..

وقد تكون هناك شواهد مشتركه بين المرض النفسي والشيطاني فلا يؤسس عليها مثل الصداع .

ومن أمثله الشواهد القاطعه المثبته للمرض في المخ ... البؤره الصرعيه الثابته في إلاشاعه

ومن أمثله الشواهد القاطعه في أمراض الشيطان

الأحلام المفزعه المتكرره . (الكوابيس) أو رؤيه خيإلات في المرض الشيطاني .

كما أن هناك شواهد للامراض الشيطانيه متعلقه بالحاله بصوره خاصه مثل أن ترى البطن تنتفخ بصوره غير طبيعيه و ترتفع بصوره خطيره جدا بحيث لا يمكن ولا يجوز أن نعتبرها حاله مرضيه طبيعيه .

بل يجب البحث عن شواهد أخرى للتفريق .